الآند أوسموزيس[1]؛ إنتاجُ المعرفة المشروطة بالنّسق ما بعد استشراقي قراءة في أفكار المنظّر حميد دباشي

Epistemic Endosmosis; Produce knowledge associated with the post-Orientalist situation Read on ideas of Iranian Hamid Dabbashi

د. سليم حيولة ♦

تاريخ الاستلام: 2020.07.04 تاريخ القبــول: 2021.07.20

ملخّص: تتناول هذه الدّراسة إحدى المفاهيم المعاصرة التي جاء بها المنظّر والمقارن الإيراني-الأمريكي حميد دباشي الذي يُعدُّ أحدَ أهمّ المفكّرين في النّظرية ما بعد الكولونيالية بالولايات المتّحدة الأمريكية اليوم والتي يركّز فيها على مسائل "القوّة" و"التّمثيل" و"الهيمنة" و"الاستشراق" و"التّابع"، كما يقدّم نقدَه للمنظومة المعرفية الغربية ويستقرئ طريقتَها الجديدة في إنتاج المعرفة، ويأتي بمفهوم "الآند أوسموزيس" لتفسير واقع المعرفة الحالية في أوروبا وقضاياها ويُقدّم جملةً من الأفكار التي هي نتيجة استقرائه للواقع الفكري المعاصر، خصوصا بعد الفترة التي كتب فيها إدوارد سعيد كتبَه وعلى الخصوص مؤلّفه "الاستشراق؛ المعرفة والسّلطة"، وتتمحور أفكاره حول مفهوم Epistemic Endosmosis الذي يعني به تلاشي المنظومة المعرفية الأوروبية وضعفها في طرق المسائل والإشكالات الثّقافية المعاصرة، وتوقّفها عن إنتاج معرفة

♦ جامعة يحي فارس بالمدية، الجزائر البريد الإلكتروني: haioula@yahoo.fr (المؤلّف المرسل).

متماسكة ومضبوطة حول الشرق واقتصارها على إنتاج معرفة داخلية مرتبطة بأوقات معيّنة.

كلمات مفتاحيّة: دباشي–ما بعد الاستشراق–الآند أوسموزيس–الغرب–الشرق.

Abstract: This study aims to represent one of the contemporary intellectual concepts brought by the Iranian–American theorist and comparator Hamid Dabbashi, who is one of the most important theoriciens in the postcolonial theory in the United States of America now, and which concentrate on the themes as "power", "representation", "hegemony" and "Orientalism" And "the Subalterns", more of that he presents a critic to western knowledge system, and recites its new way of producing knowledge in relation with Orient, and brings the concept of "Epistemic Endosmosis" to interpret the reality of current knowledge and its issues, and presents a set of ideas that are the result of his extrapolation of contemporary culture, especially after the period in which Edward Said wrote, in particular, his book "Orientalism: Knowledge and Power", So Dabashi used the concept of epistemic endosmosis, which means the death of the coherent Western Epistemic system, limited to produce internal knowledge related to a specific time.

Keywords: dabashi, EndOsmosis– post–orientalism–West – Orient .

1. المقدّمة : يُعدّ حميد دباشي أحدَ أهمّ المفكّرين في النّظرية ما بعد الكولونيالية بالولايات المتّحدة الأمريكية اليوم، ويُعرف باعتباره صديقا للمفكّر الفلسطيني–الأمريكي

إدوارد سعيد، وكان قد وُلد بالأهواز بإيران سنة 1951 تتلمذَ بطهران ثمّ أكمل دراساته العليا في الولايات المتّحدة الأمريكية أين حصل على دكتوراه في علم اجتماع الثّقافة والدّراسات الإسلامية من جامعة بنسلفانيا، ويشغَل حاليا منصبَ أستاذٍ للدّراسات الإيرانية والأدب المقارن في جامعة كولومبيا بنيويورك، قدّم بحوثا عديدة في مجال الدّراسات المقارنة والفكر السياسي وفي علم الاجتماع، ومتابِعٌ جادٌّ للنّظرية الأدبية والدّراسات الفكرية المعاصرة مثل الدّراسات ما بعد الكولونيالية، لذلك فهو يُعتبر ناقدا ثقافيا وناشطا سياسيا نال مكانة مرموقة في المجال الأكاديمي في الولايات المتّحدة وأوروبا على الخصوص، ويبقى الاهتمام بكتاباته ناقصا في الثّقافة العربية نظرا لأنّ أغلب كتاباته لم تُترجم إلى اللّغة العربية بعد[2](يُنظر؛ حميد دباشي 2016).

أمّا مؤلّفاته في مجال الدّراسات المقارنة والنّقد الثّقافي فيُمكن حصرها في "الربيع العربي–نهاية حقبة ما بعد الاستعمار" الصادر في سنة 2012، و"ما بعد الاستشراق؛ المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب"، الصادر بالإنكليزية في 2008، بالإضافة إلى مؤلّفه الآخر "هل يَستطيع غيرُ الأوروبي التّفكير؟" سنة 2015، وهي كتبٌ يُمارس فيها تحليلا فكريا لقضايا العالم المعاصر؛ سياسية واقتصادية وثقافية، غير أنّ البعد الذي يّركز عليه في إطار نقده هو البعد الاقتصادي العالمي وتأثيراته السياسية والثّقافية على شعوب البلدان الغربية وغير الغربية على السّواء، كما يُعرف أيضا على أنّه ناشطٌ فعّال في مناهضة الحروب ومؤسّسٌ لمشروع الفيلم الفلسطيني" أحلام وطن" Dreams of Nation، يعيش في نيويورك مع زوجته الإيرانية–السويدية غولبارج باشي، الباحثة فيما يتعلّق بمجال النّسوية [3]. (يُنظر؛ حميد دباشي، 2016) والفكرة الأساسية التي يحاول إبرازها في كلّ ما يكتبه، وفي كتابه" ما بعد الاستشراق..." على الخصوص تتعلّق بطبيعة المعرفة التي يُنتجها الغرب عن الشرق اليوم، وهل يُمكن القول بأنّ المعرفة السابقة المتماسكة والقوية قد تلاشت وحلّت محلّها معرفة ذات خصوصيات مختلفة ؟

يرى باسل عبد الله وطفه أنّ «حميد دباشي هو أحدُ أعلام النّظرية ما بعد الكولونيالية ولعلّه من أبرز المنظّرين لها إلى جانب الراحل إدوارد سعيد والفيلسوفة الهندية غاياتري سبيفاك»[4].(يُنظر؛ حميد دباشي 2015) فقد أثرى النّقدَ الثّقافي بالكثير من الأفكار

ذات القيمة الكبيرة، التي تدخل ضمن مراجعات النّظرية ما بعد الكولونيالية، بناءً على التّغيّرات الدّولية؛ السياسيّة والثّقافية والمعرفية التي يشهدها العالم اليوم، خصوصا بعد تلاشي الاستعمار وظهور حركات الربيع العربي، المتمثّلة في احتجاجات الكثير من شعوب بلدان العالم الثّالث ضدّ أوضاعهم الاجتماعية والإنسانيّة، وهي احتجاجات وصلت إلى بلدان أمريكا وأوروبا والصّين وغيرها، كما يركّز على مسائل "القوّة" و"التّمثيل" و"الهيمنة" و"الاستشراق" و"التّابع"، ويقدّم نقدَه للمنظومة المعرفية الغربية مستقرئا طريقتَها الجديدة في إنتاج المعرفة وتتمحور أفكاره حول تلاشي المنظومة المعرفية الأوروبية وضعفها في طرق مسائل الثّقافات المعاصرة وفي كيفيّات الحدّ من الإشكالات المرتبطة بها من مثل علاقات الذات بالآخر والهوية الثّقافية بالإضافة إلى مسائل التّعايش وغيرها.

قام دباشي بدراسة الكثير من المنظومات النّقدية ما بعد الكولونيالية وتقييمها، وعلى الخصوص مشروعَي النّاقد الفلسطيني–الأمريكي "إدوارد سعيد"، والهندية–الأمريكية "غاياتري سبيفاك"، حيث تكلّم عن الاستشراق بعد الفترة التي قام "إدوارد سعيد" بدراستها والذي اعتبره منظومةً فكرية متّسقة ومنظّمة بشكل كبير، كما أنّه راجعَ من جهة أخرى مفاهيمَ "سبيفاك"، وعلى الخصوص القضايا التي أثارها كتابُها "هل يستطيع التّابع أن يتكلّم؟"، لذلك ألّف كتابَه "هل يستطيع غيرُ الأوروبي التّفكير؟"، كما نجد المفكّر الكاريبي "فرانز فانون" مؤثّرا في كتابات دباشي، وذلك من خلال الكتاب الذي ألّفه والموسوم بـ"بشرة سمراء. أقنعة بيضاء" ما يدلّ على أهمية فانون في المشروع الفكريّ لدباشي باعتباره أحدَ أهمّ مؤسّسي الدّراسات الكولونيالية، الذي ترك تأثيرات كبيرة في مجال النّضال الفكري ضدّ الاستعمار والهيمنة الإمبريالية.

يرى دباشي أنّنا نشهد اليوم واقعا سياسيا وفكريا جديدا مختلفا كليةً عمّا سبقه، حيث يذهب إلى أنّ الزمن الذي كانت فيه السيادة للذّات العارفة الأوروبّية قد ذهب دون رجعة، فالمعرفة حول الشرق أو أيّة كيانات اجتماعية أخرى لم تعد مثل المعرفة الدّقيقة والمنظّمة التي قدّمها المستشرقون الأوروبيون خلال القرن التّاسع عشر وقبله، وأنّنا اليوم أمام واقعٍ فكري مختلف جذريا عن تلك الحقبة السابقة، فقد فرض المهاجرون والمُبعدون الذين يعيشون في أوروبا والولايات المتّحدة الأمريكيّة واقعا مُغايرا، الأمر

الذي فرض ظهور معرفة خاصة مُنسجمة مع هذا الواقع الجديد، وتتّسم بأنّها معرفة اللاّشيء؛ أي معرفة آنية ومفرَغة، مقارنة بالبحوث القيّمة التي قدّمها المستشرقون الأوروبيون عن كلّ ما يتعلّق بالشرق والبلدان الأخرى، وهي معرفةٌ أظهرت أيضا تلاشي فاعلية الهيمنة التي عُرفت بها الإمبراطورية الاستعمارية الأوروبية منذ نهاية القرن الثّامن عشر إلى حدود ستينيات القرن العشرين .

2. الإمبراطورية والهيمنة: كانت الدّراسات ما بعد الكولونيالية إحدى المسالك البحثية التي أوجدَها إدوارد سعيد في نهاية سبعينيّات القرن العشرين حتى منتصف التّسعينيات منه، وكان يقصد بها تلك الفترة الفكرية التي ازداد فيها الوعيُ بمخلّفات الاستعمار، وقد تميّزت بظهور إشكالات اجتماعية وسياسية واقتصادية عديدة وانعكاساتها على البلدان الأوروبية وغير الأوروبيّة ثقافيا واجتماعيا، ترافقت مع بروز مسألة المهاجرين، مع ما يمثّلونه من أزمة حضارية في قلب البلدان الغربية نفسها وعدم قدرتهم على الاندماج في ظلّ هيمنة القوى الاجتماعية والسياسية في الغرب، حيث نجد آنيا لومبا ترى أنّه «يعتقدُ بعضُ النّقاد أنّ الدّراسات ما بعد الكولونيالية" بدأت بالانتقاد الذي طرحه المفكّر الكبير إدوارد سعيد في كتابه" الاستشراق" (Orientalism) إذ يزعم سعيد بأنّ التّواريخ الكولونيالية التي تُخبرنا الكثيرَ عن علاقات الهيمنة بين"الشرق "و" الغرب" أنتجت خطاباتِ الآخر الكولونيالي، وكانت بدورها أيضا نتاجا لعدد من هذه الخطابات؛ فالشّرق مشكّل على أنّه شيءٌ يجب معرفتُه من خلال المجازات والاستعارات اللّغوية التي أعادت إنتاج علاقات الهيمنة، بل صارت الهيمنةُ شرطا طبيعيّا للعالم المستعمَر وليست نتيجة للقوى الجيوسياسية بحدّ ذاتها. كما ارتبطت "ما بعد الكولونيالية" بأشكال الأدب، فكشفت دراسةُ الكولونيالية وما بعد الكولونيالية عن تعقيد الأدب والتّاريخ والفلولوجيا والأنثروبولوجيا لدى تمثيلها في مشروع الحكم الكولونيالي»[5]. (آنيا لومبا، 2013). فقد ارتبط الاستعمار بالهيمنة التي عملت على صياغة ذوات المستعمَرين والمقهورين، وأمدّت المستعمِرِ مشروعيةَ البقاء والتّسلّط لضعف أولئك المستعمَرين وعدم قدرتهم على إعمار بلدهم أو عدم قدرتهم –باعتبارهم

مهاجرين–على الاندماج في الحياة الأوروبية، فهي خطابٌ ظلّ يُحقّق أهدافه في مجالات معرفية وإبداعية متعدّدة.

وضعَ إدوارد سعيد نظريةَ دراسات الخطاب الكولونيالي أعقبها بوضع نظريةٍ للدّراسات ما بعد الكولونيالية ولمسَ الإشكالات التي تعيشها مجتمعات الدّول التي نالت استقلالها من استعمار بغيض عمّر ما يزيد عن القرنين من الزّمان، وترك تلك الدّول متهالكةً اقتصاديا واجتماعيا، تُعاني مخلّفات السيطرة والتّسلّط التي مورست في حقّهم طوال تلك الفترة، وقد أفرغتهم من هويّاتهم ومن خصوصيّاتهم الحضاريّة والفكرية، ولم تكن الثّقافة بمعزل عن تلك عمليّة السّيطرة تلك، بل إنّها كانت إحدى أدوات الاستعمار الأشدّ فتكا بهوية تلك المجتمعات وبمقدّراتها الفكرية والإبداعية، فقد عُدّ أدبُ تلك الشّعوب المغلوبة متخلّفا وإحدى أشكال الثّقافات البدائية، لأنّه لم يكن– في اعتقادهم– يرقى لمستوى الأدب الأوروبي (المؤسّساتي والمعتمَد)، وقد عُنيَ كذلك وفي إطار هذه الدّراسات بالأوضاع التي كان يعيشها المهمّشون في البلدان الغربية، الذين كان أغلبهم مهاجرون من بلدان آسيا وإفريقيا، لذلك فهي دراسات تمتلك منظورات واسعة ورؤى إنسانيّة لمعالجة مخلّفات الاستعمار الفكريّة والثّقافية، حيث ترى آنيا لومبا أنّه «قد اقترح النّقّاد أنّه من المفيد جدّا أن نفكّر في ما بعد الكولونيالية ليس بمجرّد أنّها تأتي حرفيا بعد الكولونيالية ممّا يدلّ على زوالها، ولكنْ علينا أن نفكّر فيها بمرونة أكثر على أنّها تحدٍّ للحكم الكولونيالي وإرثِ الكولونيالية. وسيسمح لنا مثلُ هذا الموقف أن نضمّ الشعوب التي استُبعدت من أماكنها الجغرافية بسبب الكولونيالية مثل الأمريكيّين الأفارقة أو الأشخاص من أصلٍ آسيوي أو كاريبي في بريطانيا، كونُها ذواتٌ ما بعد كولونيالية على الرغم من أنّهم يعيشون بين ثقافات الشعوب المتحضّرة. ويسمح لنا هذا الموقف أيضا بإدخال تاريخ المقاومة ضدّ الكولونيالية في المقاومات المعاصرة للإمبريالية والثّقافة الغربية المهيمنة»[6].(آنيا لومبا، 2013) فقد حفلت بلدان الميتروبول الغربي كلّها بأعداد كبيرة من المهاجرين القادمين من البلدان التي تمّ استعمارُها من قبل، الأمر الذي انجرّت عنه إشكالات اجتماعية وسياسية عديدة، لعلّ أهمّها رفض تلك المجتمعات الغربية لهم ولاختلافاتهم الثّقافية، والأوضاع الاجتماعية البائسة التي كانوا يعيشونها وصعوبة اندماجهم، وما بعد الكولونيالية أيضا هي تلك الفترة التي تهتمّ بدراسة

الاستجابات المختلفة للهيمنة الكولونيالية، التي تركت أثرا بالغا في مختلف مناحي الحياة المتعلّقة بالمقهورين والمستعمَرين وتمثّلت تلك الاستجابات في بروز مقاومات متعدّدة وعلى رأسها "المقاومة الثّقافية" من أجل تخليص الثّقافات الوطنية من كلّ أشكال الاستعمار، وبالنّسبة للمهاجرين تعني النّضال من أجل تحقيق الحياة الاجتماعية الكريمة.

3. الذات العارفة؛ المعرفة القبْلية وشروط إدراك الوجود: يُشير دباشي إلى مفهوم الذّات العارفة ضمن نظرية المعرفة التي صاغها الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط [7]، حيث يرى أنّ حضور الذات العارفة في بنية الفكر الغربي هو ما جعلها تدّعي نفسَها منبعَ المعرفة حول العالم وموجوداته، فتُثبّت نفسَها وتقوم بنفي الذّوات الأخرى والإنقاص من قِيَمها وحضاراتها، وهذه الذات العارفة معرفتُها قبْلية وموضوعية بالنّسبة لها، ولذلك فهي تنفي كلّ معرفة ناتجة عن المعايشة والتّجربة، وهذا أصلُ التّفاوت بين البشر، لأنّه– وبحسب هذه النّظرة– فإنّ لكلٍّ من أوروبا وغير أوروبا قيمةٌ ثابتة لا تتغيّر، فقد «كان تقريرُ كنط أنّ لدينا تصوّرات قبْلية مدخلا إلى تحديد موقفه من نظريات المعرفة العقلية والتّجريبية على السّواء...رأى كنط أنّ ليس لدينا معرفة بالعالم المعقول وأنّ معرفتنا محدودة بعالم الظواهر، ولكن لكي نعرف هذا العالم يلزم أن تتعاون الانطباعاتُ الحسّية والتّصوّرات القبْلية وأنّ المجال الوحيد لهذه التّصوّرات هو عالم الظاهرات»[8] (محمود زيدان 1979). فالتّصوّرات القبْلية التي تملكها الذّات تحملُ انطباعات عن العالم وتمثيلات للذّوات الأخرى تتميّز بالثّبوت والاستقرار وعدم قبولها للتّغيّر، لذلك فإنّ أحكام الأوروبيين عن غيرهم من الشعوب تبدو ثابتة وقارّة مهما اختلف الزمان والمكان، وهي معرفة تشمل المجالات كلّها وعلى الخصوص الثّقافة، حيث ومن خلال قراءة الفيلسوف الفرنسي "جيل دولوز" لكانط فإنّه يرى أنّه «بمواجهة التّجريبية يؤكّد كانط أنّ هناك غايات للثّقافة، غايات خاصّة بالعقل. أكثر من ذلك وحدَها غاياتُ العقل الثّقافية يمكن أن يُقال عنها أنّها غايات أخيرة بصورة مُطلقة» [9]. (جيل دولوز 1997) وهي فكرة تتبني عليها نتائجُ هامّة فيما يتعلّق بأحقية الأوروبي وسُمُوّه وقدرته على إنجاز ما لا يُنجزه غيره، فغايات الثّقافة مرتبطة بالعقل ومُتعلّقة به (وهو هنا العقلُ

الأوروبي دون سواه؛ عقل الحداثة والتّنوير) فتُصبح أوربا تملك معرفةً معقولة وتدرك ذاتَها والآخر بهذه المعرفة القبْلية المنطلقة من العقل، وهي معرفة لا يُمكنها أن تكون خاطئة، كما أنّه لا علاقة لها بالتّجربة والخبرات الحياتية، لأنّ المعرفة مُدرَكة مُسبقا وبهذا يستحيل تغيّر النّسق المرتبط بالعقل، لأنّه ثابت بصفة مُطلقة وغير قابل للتّعديل أو التّغيّر.

فما يُميّز المنظومة المعرفية الأوروبية هو أنّ معرفَتها–بناءً على ما رسّخه كانط– معرفةٌ قبْلية متجرّدة من الخبرة والتّجربة، حيث إنّ «مِن أركان فلسفة كانط تقريرُ أنّ المعرفةَ قبْلية...نُسمّي المعرفة قبْلية إذا لم تكن تجريبية أي إذا لم تكن مشتقّة من الانطباعات الحسّية والخبرة الحسّية، ومن ثمّ فالمعرفة القبلية مستقلّة عن تلك الخبرة»[10]. (محمود زيدان، 1979). ولا يهمّنا هنا الخوض في ذكر هذا المفهوم وتحديده عند كانط، بقدر ما يستلزم منّا هذا البحثُ إدراك انعكاساته في تكوين الذات الأوروبية وفي علاقاتها بباقي الذّوات غير الأوروبية وفي مشروطية المعرفة النّابعة منها والمنطلقة من أساساتها [11]، وبالنّسبة لدباشي فإنّ الأمر يتعلّق بضرورة بناء منظومة معرفية غير أوروبية وغير مشروطة بالسياق المعرفي الأوروبي وتفكيكها لطغيان مفهوم الذّات العارفة ومعرفتها القبْلية، الأمر الذي جعل أوروبا تنظر إلى الآخر انطلاقا من ذاتها وتحكم عليه بناء على اتّفاقه أو مخالفته لها، لذلك فهي تُصدر أحكامها عليه بتخلّفه ونقصانه انطلاقا من معرفة قبْلية لازمة للذّات الأوروبية في كلّ ما يتعلّق بالموجودات والقيم في هذا العالم.

4. إدوارد سعيد؛ وجوهرانية العقلانية الأوروبية: يبدأ "حميد دباشي" من الأفكار التي جاء بها "إدوارد سعيد" وخصوصا مفهومُه للاستشراق ومسؤوليّته في تكوين معرفة غربية حول الشرق والشّرقيين، بالإضافة إلى أفكار "غاياتري سبيفاك" حول التّابع واستجاباته لأشكال الهيمنة والإخضاع، وينطلقُ من التّلقّي السّلبي في الكثير من الأحيان لأفكارهما، ولأفكار إدوارد سعيد خصوصا في العالم العربي والغربي على السّواء، مع العلم أنّ منظومة دباشي النّقدية قائمة على الموروث السابق عليه في مجال النّظرية الكولونيالية وما بعد الكولونيالية، وقائمة على أفكار النّقّاد الثّقافيين الآخرين من أمثال "فرانز فانون" و"راناجيت غوها"، ومنطلقة–في الوقت نفسه– من النّقاشات الفكرية

والحوارات الساخنة، التي قامت بين دباشي وعدد من الفلاسفة الأوروبيين المعاصرين من مثل الفيلسوف السلوفيني "سلافوي جيجيك" والإسباني "سانتياغو زابالا" [12] (يُنظر؛ حميد دباشي 2016)؛ اللّذَين اعترضا على عددٍ من أفكاره، بل ونظرا إليها على أساس أنّها منطلقة من فكر قد زال، ويعتقدان أنّ الواقع الجديد يفرض علينا مجابهته بفكر جديد، ثمّ إنّ النّقاش الذي كان بين دباشي وهذين الفيلسوفين الأوروبيّين يسمح لنا بإدراك القضايا التي هي محور الدّرس الثّقافي المعاصر.

خصّص إدوارد سعيد كُتبه لتناول الاستشراق باعتباره بنيةً معرفية متّسقة أنتجها الفكرُ الغربي حول الشرق [13]، وهي إحدى نتائج معرفة موثّقة وقائمة على معاينة فعلية في الكثير من عناصرها وموادّها، غير أنّ ما يُميّزها هو أنّها منطلقة من الفكر الغربي ومرتبطة به ومبنية على خصوصياته وطرُقه في التّفكير والنّظر إلى الذّات وإلى الآخر ومُشبعة بفكر المركز الأوربي النّافي لـ"الأطراف والهوامش"، حيث يرى أنّ «ظاهرة الاستشراق التي أدرُسها هنا ليس موضوعها مدى صدق الاستشراق في تصوير الشرق "الحقيقي"، ولكنَّ موضوعي الرئيسي هو الاتّساق الدّاخلي للاستشراق والأفكار التي أتى بها عن الشرق...بغضّ النّظر عن أيّ صدقٍ أو كذبٍ في تصوير الشّرق الحقيقي»[14]. (إدوارد سعيد، 2006). فالاستشراق رؤيةٌ فكرية منظّمة ومتّسقة–كما يرى إدوارد سعيد– أنتجتها المنظومة المعرفية الغربية، ما يجعلها مرتبطة بها ومؤسّسة عليها، ولتوضيح ذلك يمكن أن نقول إنّ المعرفة حول الشّرق لو أنتجتها منظومة معرفية أخرى لكانت المعرفة المستقاة منها مختلفة، ثمّ إنّها اتّخذت طابعا عمليا حدّدت به نظرة الغرب للشرقيين كما رسمت تعاملاتهم معهم على ذلك الأساس في إطار الاستعمار والإمبرياليّة.

كما أنّه يرى أنّ نتائج تلك الدّراسات حول الشرق، التي كوّنت مخزونا ضخما في مجالات عديدة من لغة وفكر واقتصاد وسياسة وتاريخ وأدب وإثنولوجيا وأنثروبولوجيا قد أسهمت كلّها في تحديد سياسة الغربيين تجاه البلدان الشّرقيّة ومجتمعاتها، حيث يرى أنّه «من المخادعة الاعتقادُ بأنّ الخيال وحدَه قد فرض خلقَ صورة الشّرق...فالعلاقة بين الغرب والشّرق علاقة قوّة، وسيطرة، ودرجات متفاوتة من الهيمنة المركّبة...وأنا

أعتقد شخصيا أنّ القيمة الكبرى للاستشراق تكمُن في كونه دليلا على السّيطرة الأوروبية الأمريكية على الشرق أكثر من كونه "خطابا" صادقا حول الشّرق...ومع ذلك فعلينا أن نحترم ونحاول أن ندرك ما يتّسم به "خطاب" الاستشراق من قوّة متماسكة متلاحمة الوشائج، والروابط الوثيقة إلى أبعد حدّ بينه وبين المؤسّسات السّياسية والاقتصادية الاجتماعية التي تمنحه القوّة، وقدرته الفائقة على الاستمرار»[15]. (إدوارد سعيد 2006). وهذه الميزة جعلت خطابَ الاستشراق فاقدا لمصداقيته، لأنّه وبالرغم من كونه قائما على المعرفة ومنطلقا منها، إلّا أنّه متبطّن لإيديولوجية معرفية لم يستطع أو لم يُردِ المستشرقون وكلّ المشتغلين بقضايا الشّرق التّخلّصَ منها، لذلك استُعملت نتائج البحوث المتعدّدة في تسهيل استعمار بلدان الشرق وتحقيق المزيد من الهيمنة والتّسلّط في حقّ الشعوب المستعمَرة، فالاستشراق هو ما أنتج الاستعمارَ، لأنّ تلك المعرفة –كما يرى إدوارد سعيد–استُعملت في استعماره وإبقاء السّيطرة عليه.

يؤسّس إدوارد سعيد منظومَته النّقدية بناءً على مرجعيّة فكرية تعود إلى المفاهيم التي وضعها المفكّر الإيطالي "أنطونيو غرامشي"، ونظرته حول المعرفة الغربية، ففي كتابيه "الاستشراق" و"الثّقافة والإمبريالية" يستند فيها إلى ما ورد عن هذا المفكّر الإيطالي الذي خصّص كتابَه" دفاتر السّجن" لتحديد مفهوم الهيمنة ودور المؤسّسات المختلفة في توظيف الثّقافة (بمختلف أشكالها) في تحقيقها، لذلك فهو يرى أنّ غرامشي «قد وضعَ...التّمييز التّحليلي المفيد بين المجتمع المدني والمجتمع السّياسي، فالأوّل يعني الهيئات الطوعية (أو قُلْ العقلانية والبريئة من القَسر على أقلّ تقدير) مثل المدارس والعائلات، والنّقابات، والثّاني يعني مؤسّسات الدّولة (الجيش والشرطة والبيروقراطية المركزية) والتي تتولّى السيطرة المباشرة بين أبناء الشّعب. وسوف تجد أنّ الثّقافة حيّة عاملة داخل المجتمع المدني حيث لا يتحقّق تأثيرُ الأفكار والمؤسّسات والأشخاص الآخرين من خلال السّيطرة بل من خلال الرّضا وفق تعبير جرامشي. وهكذا فإنّنا نرى في أيّ مجتمع غير شمولي أنّ أشكالا ثقافية معيّنة تتغلّب على غيرها، مثلا نرى أنّ أفكارا مُعيّنة تتمتّع بنفوذٍ أكبر من غيرها، وقد أَطلق جرامشي على شكل هذه "الزّعامة" الثّقافية لفظَ الهيمنة، وهو مفهوم لا غنىً لنا عنه في إدراك حقيقة الحياة الثّقافية في البلدان الصناعية في الغرب. ولقد كانت الهيمنةُ، أو قُلْ النّتيجةُ العملية المترتّبة على

الهيمنة الثّقافية، هي التي كتبَت للاستشراق استمرارَه وقوّتَه...»[16]. (إدوارد سعيد 2006). فالاستشراق باعتباره منظومة فكرية متّسقة قائمةٌ على الهيمنة، ومنطلقةٌ من جوهر الفكر الغربي القائم على التّسلّط والرغبة في امتلاك مكان الآخر وتسخير الإنسان لخدمته، وكلّ المنظومة المعرفية والثّقافية في الغرب مُشبَعة بهذا الفكر، وهي ما حقّقت طغيانَ الغرب وتجبّره ودخوله في عمليّاتِ سيطرة استعماريّة وإمبرياليّة غيرِ متناهية ماتزال تأثيراتها إلى اليوم بادية على الإنسان وعلى الأرض في البلدان التي كانت عُرضة للاستعمار.

يرى حميد دباشي أنّ كتاب الاستشراق لم يُفهم كما يجب، من طرف القارئ الغربي والعربي على السّواء، وهذا يدخل ضمن إساءة الفهم التي تُعتبر من جهة أخرى تأويلا لكنّه تأويلٌ أخرج الكتاب عن معناه الأوّل الذي وُضع من أجله، وفوّت على القرّاء فرصةَ معرفة الفكرة الهامّة التي ناقشَها في الكتاب، والتي خصّص لها إدوارد سعيد جزءا هامّا من وقته ومن فكره، المنطلق من ثراء معرفيّ ونباهة منهجية يقلّ نظيرُها حيث يرى دباشي أنّه «رافقَ إدوارد سعيد الكثيرُ من الاستياء إلى يوم وفاته؛ حيث لم يكن لكتابه ومفهومه عن "الاستشراق" تأثيرٌ كبير وحسب كما يستحقّان، بل حُظيا– أيضا– بإساءة استخدامٍ كبيرة، وعلى نطاق واسع أيضا. ويستمرّ هذا الاعتداء على قدم وساق حتّى اليوم. لم يتوقّف سعيد عن بذل قُصارى جهده، في تصحيح هذه القراءات الخاطئة لفكرته الرائدة..»[17]. (حميد دباشي، 2016) فالإساءة لم تلحق عملية الفهم فحسب، بل شملت أيضا إساءةَ استخدامِ أفكاره، فهو كان يقدّم نقدا وتقييما للمنظومة الفكرية الغربية المنطلقة من مقولات جوهرية مُرتبطة بالعقلانية الغربية التي كان الاستشراق إحدى نتائجها، حيث يؤكّد إدوارد سعيد على مضمون كتابه من خلال ما يذكره من «إنّه كتاب عن الغرب وإشكالاته الفكرية والخلخلة الجوهرية في ثقافته والمفارقات الضدّية الأساسية التي تقوم فيه بين ما يعتبُره مبادئَ لتطوّره الحضاري والبحثي والعلمي وبين الطريقة التي يُعايَن بها الآخرُ حين يكون هذا الآخر الشرق»[18]. (إدوارد سعيد، 2004). فما كان إدوارد سعيد يهدف إليه، هو توضيح المنظومة الفكرية الغربية المركّبة والمتناسقة فيما يتعلّق بالمفاهيم والتّصورات التي وضعتها عن الشرق

والتي عملت فيما بعد على استعمالها في استعمار طويل لبلدان إفريقيا وآسيا ففَهم كتابِه يعني فهمَ المنظومة المعرفية الغربية وخصوصياتها، وهو ما غفل عنه الكثير من النّقّاد والمهتمّين في مجال الدّراسات الفكرية المعاصرة.

5. **دباشي؛ من الاستشراق إلى ما بعد الاستشراق:** مارس إدوارد سعيد تأثيرات كبيرة في الدّراسات الفكرية والأدبية والسياسية المعاصرة، وعلى عددٍ كبير من الباحثين من ذوي الأصول غير الأوروبية، وذلك لدقّة ملاحظاته ولأفكاره القيّمة التي ساعدت في فهم القضايا الفكرية المعاصرة المختلطة بقضايا سياسية وفلسفية واقتصادية وأدبية واجتماعية، لذلك فإنّ دباشي يعرف القيمة العلمية لإدوارد سعيد، حيث يُضيف «أَعتبر إدوارد سعيد مفكّرا ثوريا حقّق في فضاء الأفكار والتّطلّعات ما حقّقه بالضبط وبصورة عملية كلّ من تشي غيفارا، فرانتز فانون، مالكولم إكس، وعلي شريعتي، مُترجما القيود التي يفرضها الأصلُ المحلّي ونَعْرة المواطن الأصلي إلى لغة عامّة مُتداولة في الصراع الدّولي قدّم عبرَها قضيّته فلسطين»[19]. (حميد دباشي، 2015) فهو –بالنّسبة له– مفكّر ذو أهمية بالغة في فهم العالم المعاصر بمختلف تجاذباته الثّقافية وصراعاته الحضارية فكتُبه مصادرُ هامّة يَعتمد عليها وينطلق منها لتأسيس مفاهيمه الخاصة، وهو –في الوقت نفسه– يُقوّمها بحسب مستجدّات العصر، كما يُقدّم له نقدا في بعض جوانب فكره ولا ينسى التّذكيرَ بأهمية القضية الفلسطينية عنده، التي لا يمكن تجاهل أثرها في الفكر الثّري الذي عُرف به[20].

يتتبّع حميد دباشي أفكارَ إدوارد سعيد والحلول التي يقترحها من أجل تخليص الشعوب المستعمَرة من تبعات الاستعمار كلّها، وإحلال ثقافاتها المحلّية مكانتها التي تستحقّها، وتكسير كلّ أشكال التّمثيل المغلوطة التي كانت إحدى نتائج المعرفة الغربية لأسباب خاصّة بها ومرتبطة بجوهر فكرها، لذلك فهو يحدّد ما ينوي القيام به بقوله «أتّخذ طريقي عبَر عمل إدوارد سعيد للكشف في السؤال الحرج المتعلّق بالتّمثيل الذّاتي المستقلّ وإرادة مقاومة القوة وفي كيفية إتاحة المجال أمام التّابع للتّعبير عن ذاته وجوديا وراء الأزمة المفترضة للمستلَب. إنّه السؤال الذي استقرّ في التّفكير الفلسفي الأوروبي منذ ميشيل فوكو ولاحقا له، وبقي أساسا من دون حسمٍ لدى إدوارد سعيد. وراء الأزمة المفترضة للمستلَب، أضع فكرتي تحت مجهر البحث مستهديا بتلك اللّحظات الخلاّقة

والدّقيقة للتّابع حين يقوم هو/ هي باستفزاز التّمثيل الذّاتي والسلطة معا للحديث علناً عن الصدمات التّاريخية التي هدفت في الحقيقة إلى خنق صوته/ها»[21]. (حميد دباشي 2015) فالاستشراق كخطاب غربي قدّم تمثيلات خيالية للشرق وللإنسان الشرقي والعوالم المرتبطة به، وهي تمثيلات أسهمت في النّظر إليه باعتباره ناقصا وغريبا وغيرَ مؤهّل لحكم نفسه لذلك يجب حكمُه وإدارة بلدانه لقصوره عن فعل ذلك، وهي– في حقيقة الأمر–من جملة العوامل التي ساعدت على بقائه متخلّفا ومتأخّرا عن ركب الحضارة والتمدّن.

ينطلق دباشي من أفكار إدوارد سعيد وسبيفاك، ومن مضمونها وتأثيراتها الفكرية في ظلّ التّحوّلات العالميّة المختلفة وانعكاساتها الكبيرة في حياة البشرية، ويقدّم طريقة إنتاج المعرفة في الغرب، ويتساءل «كيف سنُواجه هذا الدّفق المهول في المعرفة السّلَعية التي تفتقد المنهجية العلمية التي قام عليها الاستشراق الكلاسيكي في أطواره المبكّرة»[22].(حميد دباشي، 2015) فالسياق الذي كُتبت فيه أعمال المستشرقين الكبرى مختلفٌ عن السّياق الحالي كما سبق وذكرنا.

يُواصل دباشي متابعته لأفكار إدوارد سعيد كي يبني عليها أفكاره الجديدة، ويركّز على مسألة التّمثيل التي يراها جوهرَ كتابه "الاستشراق"، حيث يقدّم قراءةً لأفكاره في هذه القضيّة، ويُضيف «يقتفي إدوارد سعيد في كتابه الرائد "الاستشراق"، الأصلَ البعيد لسلطة التّمثيل والتّمثيل المعياري الذي تتبّعه في تركة المرحلة الكولونيالية المتجبّرة التي حملت معها شراذم التّجار المحاربين المرتزقة والضبّاط العسكريين والمبشّرين المسيحيين وعددا من المستشرقين الأوروبيين في أصقاع الدّنيا، ومكّنتهم من الكتابة والتّمثيل– بالنّتيجة– عن الشعوب التي سعَوْا لحكمها. مضى إدوارد سعيد في "الاستشراق" بعيدا نحو شرحِ شروط السيطرة والتّمثيل بالنّيابة من الحقبة الكولونيالية الكلاسيكية في القرنين الثّامن عشر والتّاسع عشر وصولا إلى الوقت الذي كتب فيه دراسته المفصلية في أواسط السّبعينات، ولا تزال بعض تصوّراته رغم ذلك شرعية ومؤثّرة، ويتحتّم اليوم تحديثُ ملاحظات إدوارد سعيد وتفصيل مضامينها بالنّظر إلى رمزية الأحداث المفصلية التي أدّت إلى متلازمة: ما بعد الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر» [23] (حميد دباشي، 2015)

فالاستشراق ومفهومه كانا –بحسب دباشي– في حاجة إلى قراءة جديدة في إطار السّياق الفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي الجديد، الذي يتميّز بدخول الإنسانية عالما جديدا مختلفا كلّيةً عن الفترات السابقة، فقد كانت منظومة سعيد قائمة على استقراء مادّة استشراقية مرتبطة بسياق آخر مختلف تماما، ولها علاقة وثيقة بالاستعمار والإمبراطورية ثمّ الإمبريالية التي أعقبت تلك الفترة، وكانت فترةُ ما بعد الكولونيالية متميّزة بهيمنةٍ عن بُعد، من خلال التّدخّل في شؤون الدّول وتحديد سياساتها، لكنّنا اليوم نشهد انفجارا معرفيا وإعلاميا كبيرا جعلَ العالم يبدو متقاربا أكثر من أيّ وقت مضى، حيث طغت الرأسمالية كمنهج اقتصادي اتّخذته الكثير من الدّول، الأمر الذي صنع أوضاعا اجتماعية عالميّة جديدة، بحيث لا يُمكن مقاربتها بالطريقة نفسها التي تحدّث بها إدوارد سعيد في كتبه المختلفة، ومِن ميزة هذا العصر أنّه زمنُ الكيانات الجديدة، ولعلّ أهمّ تغيير – في رأي دباشي–هو تلاشي فكرة الشرق والغرب وبروز كيانات اجتماعية تنتمي للغرب نفسه، تعيش أوضاعا تُشبه أوضاعَ المستعمَرين نتيجة طغيان الرأسمالية المتوحّشة، لذلك فإنّ السّؤال الذي يُطرح اليوم يتعلّق بدور الثّقافة في هذا المجال خصوصا إذا كان المقهورون جزءا كبيرا ممّا يُسمّى الغرب، تلك هي أهمّ خصوصيات العالم الجديد، الذي يفرض علينا– من أجل فهمه– مقاربات متوافقة مع السياق الجديد وهو ما سيعمل دباشي على توضيحه.

إنّ فكر حميد دباشي قائمٌ على مقولات النّظرية ما بعد الكولونيالية ومنطلق من أهمّ الأفكار التي جاء بها أقطابها، فهو يُحيل إليهم ويتتبّع أفكارَهم ويحاول بناء مفاهيم جديدة متوافقة مع التّحوّلات العالمية الجديدة، مركّزا – من جهة أخرى–على مضامين أفكار"غاياتري سبيفاك" التي اشتُهرت بأعمالها في مجال دراسات التّابع، حيث يُضيف «أحدثَ عملُ سبيفاك "هل بمقدور التّابع أن يتكلّم" الصادر عام 1988 ثورةً في حقل الدّراسات ما بعد الكولونيالية. تقوم جدلية سبيفاك في عملها هذا على أنّ التّابع Subaltern لم يمتلك بعدُ السياقات السياسية والثّقافية الخاصّة به ليتمكّن من الكلام وإسماع الآخرين صوتَه الذّاتي، وقد سلبَه التّمثيل الكولونيالي (وهي المسألة التي استغرقت إدوارد سعيد في عمله الاستشراق) حقَّ تمثيل ذاته وحقّ الكلام»[24]. (حميد دباشي، 2015) فالتّابع صامتٌ لا يتكلّم وليس له حضور في ثقافة المركز، فهو ذاتٌ

مقموعة ومحجورٌ عليها، ولا يزال كذلك بسبب أنّه ليس واعيا–بعدُ–بالسياقات المعاصرة التي تُمكّنه من التّحرّر، وعمليةُ الوعي هذه ليست بالسهلة على الإطلاق، لأنّ الظروف الجديدة تمنعه دوما من أن يُصبح واعيا كي يتمكّن من التّحرر.

إنّ لعملية تحرّر التّابع مُعوّقات متعدّدة؛ فهو يجب عليه أن يتكلّم مع ذاته كما أنّ عليه أيضا أن يتكلّم مع الآخر، وهو ما يفرض عليه بذلَ الكثيَ من الجهود لتحقيق ذلك، وعليه تجاوز المعوّقات الاجتماعية والدّينية التي تؤجّلُ ازديادَ الوعي والمرور إلى تحقيق التّحرّر، ولذلك فهو يرى أنّ سبيفاك تهدف «إلى الفصل بين حديث التّابع عن ذاته "للآخرين" وحديثه عن ذاته ضمن السّياق الثّقافي الأصلي حيث تتبلور هويته الثّقافية ويُعيد بناء التّضامن الثّقافي بين جماعات محيطه المتباينة (التّابعة)»[25]. (حميد دباشي، 2015). فالجهد الواجب بذله من قِبل التّابع يكون على جبهتين؛ داخلية ثمّ خارجية، فالمعوّقات ليست خارجية فحسب، وإنّما ذاتية داخلية أيضاً، وربّما تكون هذه الأخيرة السببَ المباشر في أن يبقى التّابعُ صامتا لا يحقّق ذاتَه.

وإنّ التّابع الذي ركّزت عليه سبيفاك يتمثّل في المرأة، كما أنّه يعني كذلك كلَّ المهمّشين والمغلوبين على أمرهم، حيث إنّ«...سطوة النّصوص الدّينية الهندوسية التي تحثّ المرأة على هذا الفعل [الساتي]. إضافة إلى الهيمنة الذّكورية المؤسّسة لتبعية المرأة والهيمنة الأبوية ثمّ الهيمنة الاستعمارية. صوتُ التّابع هنا هو المرأة التي تُعبّر عن وفائها لزوجها بهذا العمل، لكن بما أنّه صوتٌ مشوّهٌ ومخنوقٌ ولا طائل منه. ولن يُستعاد صوتُ التّابع وقدرته على الكلام والإسماع إلّا عبرَ المثقّف المنبثق من صميم الجماعة ذاتها ودوره التّوعوي لكنّ ذلك يُعيدنا إلى مشكلة التّمثيل الأولى»[26]. (حميد دباشي، 2015) فالتّابع سواءٌ أكان رجلا أو امرأة لا بدّ عليه من أن يتحرّر، وبما أنّ المجتمعات التي خضعت للاستعمار ما تزال متخلّفة وغير واعية، بسبب أنّ الاستعمار مارس في حقّها التّجهيل والمنع، فإنّه على المثقّف المنتمي لتلك البلدان أن يُبادر بتحقيق عملية إنطاق "التّابع"، وهو من سيتكفّل بتلك المهمّة التي يحاول بها إنقاذ شعبه وإخراجه إلى عالم أفضل.

6. نهاية الأوسموزيس وإنتاج المعرفة؛ تلاشي سيادة الذّات الغربية: إذا كان مفهوم Osmos يعني ظاهرة الانتشار بين حلّين بتركيز مختلف، وتداخل التّأثير والتّفاعل المتبادل[27]، (Petit Larousse illustré, 1982) وهو مفهوم خاص– في معناه الأول– بمجال الطبّ وعلم الكيمياء وقد جاء هذا التّعريف ضمن هذين العلمين على أنّ Osmosis "يلعب دوراً هاماً في تنظيم توزيع الماء والمواد الأخرى في أنسجة الجسم" [28]، (Illustrated Medical Dictionary) وهو ما يعني التّداخل والتّأثير المتبادل كما رأينا، ومقابله بالعربية هو التّناضح فإنّ المفهوم الذي جاء به حميد دباشي والذي وسمه بـ" Epistemic Endosmosis"، [29] (Hamid Dabashi, 2009) يقصد به حتما، نهاية التّفاعل بين المنظومة المعرفية الأوروبية والمعرفة العربية– الإسلامية والشرقية عموما وواقعها الاجتماعي والسّياسي والثّقافي، وبناءً على تعريف هذا المصطلح المنقول، فإنّ نهاية التّفاعل المعرفي الذي يقصده" دباشي" هو ذاك التّفاعل غير المتكافئ الذي كان بين أوربا والشرق، باعتبار أوربا قوية والشرق ضعيف والغلبةُ المعرفية كانت دوما للأقوى المُهيمِن والمُسيطر، تماما مثل التّفاعل الكيميائي بين بعض الأعضاء الحيوية في جسم الإنسان والتي تُفرز موادّها الكيماوية الأكثر تركيزا وتتلقّاها من العضو الذي يمتلك مادّة أقلّ تركيزا في الوقت نفسه، وذلك لإحداث التّوازن الكيميائي داخل الجسم. وفي إطار هذا المفهوم البيولوجي فإنّ المعرفة الاستشراقية الأوروبية حول الشرق– كما يرى "دباشي"– والتي كانت مرتبطة في خلال القرن التّاسع عشر حتى تسعينيات القرن العشرين بتأسيس منظوماتٍ بحثية متماسكة ودقيقة حول كلّ ما يتعلّق بالشرق؛ من جوانب ثقافية وفكرية وسياسية واجتماعية وحضارية، قد تلاشت وانتهى –من خلال ذلك– التّفاعل المعرفي بين الكيانين، وقد وضع مترجِمُ كتابه "ما بعد الاستشراق؛ المعرفة والسّلطة في زمن الإرهاب" باسل عبد الله وظّف مقابله مصطلح "التّناضح المعرفي"، ونحن نعلم أنّ صيغة" تفاعَلَ" في العربية تعني المشاركة والتّفاعل.

يُحاول "دباشي" أن يُبيّن هدفَه الأساسي والأوّل في كتاب "ما بعد الاستشراق..."حيث يذكر «أمضي وراءَ نقد إدوارد سعيد للاستشراق على نحوٍ يُجابه وسائطَ إنتاج المعرفة (متمثّلا ما وقع في أعقاب كارثة الحادي عشر من سبتمبر) ونشوء نمطٍ من الإمبريالية

لا يقوم على الهيمنة المستدامة. غايتي هنا أن أؤلّف بين النّقد المابعد كولونيالي والنّسق ما بعد استشراقي في نسيجٍ متناغمٍ من جهةِ إنتاجِ المعرفة، متحرّرا من رِبْقة التّحليلات الخطابية كمخطّط حربِ عصابات... أقترح مفهوم التّناضح المعرفي كآخر أطوار إنتاج المعرفة المفيدة على منهج خاصّ في "قولبة الذّات" لعدم اعتماده أساساً على تصوّرٍ بعينه نموذجي أو معرفي. يصلُ بنا ذلك إلى تفتيت موضوع السيادة الأوروبية والذّات العارفة من داخله في الوقت الذي تفشّى فيه رأسُ المال المُعَوْلم على نحوٍ فعّال، لا يعرف مركزا ولا مُحيطا، معزّزا بالمقابل الوهمَ بسيادة الذّات العارفة»[30]. (حميد دباشي 2015) فهو يُريد أن يُركّز على عملية إنتاج المعرفة في الغرب حول الشرقيين والأفارقة من خلال قرنه بين النّقد الممارس حول الأوضاع ما بعد الكولونياليّة وبين المعرفة التي أنتجتها المنظومة الغربية، ويأتي لذلك بمفهوم Epistemic Endosmosis، حيث يخصّص لذلك جزءا من كتابه، ويضيف «سأتوجّه الآن نحو ما أعتقد أنّه ما بعد الاستشراق في الفصل المعنون بـ"Epistemic Endosmosis ؛ معرفة دون سيادة. إمبراطورية بلا هيمنة»[31]. (Hamid Dabashi, 2009) ليصف المعرفة الغربية اليوم على أنّها لم تعد تقوم على مبادئ المعرفة التي كانت في السابق لذلك يُعدّ هذا المفهوم– كما يرى– كآخر أطوار إنتاج المعرفة حول غير الأوربيين وهو تغيّر كبير في آليات ذلك الإنتاج، حيث يُضيف «كما أقترح أنا، كحالة من تناضحٍ معرفيّ. وفي هذا التّناضح المعرفي لا تُفضي التّوليفة العدوانية لحقل معنيّ بمعرفة عامّة حول الإسلام والشرق الأوسط إلى استعادة تكوين الذّات السيادية (الأوروبية أو الأمريكية) والكلّية المعرفة (الكانطية)»[32]. (حميد دباشي، 2015). فقد تفكّك الارتباط بين الذات العارفة التي أشار إليها كانط ومعرفتها القبْلية، والذات السّيادية التي هي تعبيرٌ عن جوهر الذات الغربية المتسيّدة على غيرها من الكيانات الأخرى وبين المعرفة التي أصبح يُصدرها الغرب، ما يعني ذلك أنّ المعرفة الغربية الآن لم تعد سيادية، وإنّما معرفة بحسب الحاجات السياسية والاقتصادية التي يفرضها الواقع المعاصر.

إنّ المعرفة الغربية حول العالم اليوم لم تعد معرفة متماسكة وقوية، لأنّها انفصلت عن الذات السيادية التي اقترنت بها منذ القديم، والتي كانت تُقدّم تمثيلاتها عن الذّوات

الأخرى ولم يعد التّمثيل الشكل الأساسي لتلك المعرفة وإنّما أصبحت تُقدّم معرفة مجزوءة وغير متماسكة وبحسب الحاجات إليها، ويذهب دباشي إلى أنّ «ما أفترضه هنا بصورة أساسية هو أنّنا نشهد في واقع اليوم شكلا من إنتاج المعرفة مجرّدا من أيّة صلة بالتّمثيل، وهذا هو منهج العمل في إمبراطورية بلا هيمنة. ثمرة هذا التّناضح المعرفي– إنتاج المعرفة المعنية في مراكز الفكر وارتشاحها إلى المجال العام –كما أراها، هي أجناسٌ مختلفة من معرفة مُنتجة معدّة للاستخدام مرة واحدة، لا تقوم على معرفة ثابتة أو مشروعة، وإنّما أشبه بالسّلع ذات الاستعمال الواحد وغير القابلة للاستبدال»[33]. (حميد دباشي، 2015). فالأنماط الأساسية والثّابتة التي كان يقدّمها الاستشراق عن الشرق والشرقيين خلال القرن التّاسع عشر، لم تعد موجودة اليوم بل أصبح الغربُ يُقدّم معرفة من صفاتها أنّها غيرُ صلبة فيما تُقدّمه عن كيان بعينه، لأنّها سرعان ما تتغيّر بحسب حاجات الغرب دوما، فهي معرفة "مصنّعة" في مراكز الأبحاث، ويتمّ إشاعتها في المجالات العامّة؛ أي أنّها أصبحت تتميّز بالارتشاح والتّناضح، كما يذهب، وهو ما يعني أنّها غدت شائعة ومعروفة بين شرائح واسعة من المجتمعات وذلك بفضل وسائل الإعلام والتّواصل الاجتماعي المختلفة، وهو ما يعني نهاية المنظومة الاستشراقية المتماسكة التي لم يعد لها مبرّر للوجود إلّا باعتبارها تاريخا لشعوبٍ وكياناتٍ اجتماعية وثقافية وحضارية سابقة .

في إطار مناقشته لمسألة الماضي والحاضر واختلاف البنية الاجتماعية والسياسية في العالم اليوم يتناول دباشي مسألة مشروعية بقاء الاستشراق كمعرفة عن الشّرق، وما يمكن أن يحلّ مكانه، ويُقدّم وصفا دقيقا لطبيعة الحياة المعاصرة، التي يرى أنّها تختلف اختلافا كبيرا عن العصر الذي كانت المعرفة فيه متّسقة ومنظّمة، حيث يرى بأنّه قد «كانت الحقبة الكلاسيكية للاستشراق، وأعني الاستشراق بوصفه الذّراع الذّكية للكولونيالية، مُنسجمة مع السيادة المطلقة للذّات العارفة الأوروبّية، حين مضت جيوش من المستشرقين المُنتفِعين حول العالم وميّزته في إطار معرفة مقولبة تُمكّن من معرفته واستملاكه وحكمه معا في وقت واحد. لم يعد لذلك النّمط من إنتاج المعرفة والذّات السيادية التي أنتجته وجودٌ منذ زمن طويل وما يَجثُم فوق صدورنا اليوم هو عصر (الحياة العارية)، دولة الاستثناء، تِيهُ اللاّجئين بين كونهم مجرّد بشر وتَوقُهم إلى مواطنة تُساوي

بينهم. دولة الاستثناء حيث تكون اللّغة تَرفًا وإفراطا وتحملُ الإيماءات معانٍ محضة لا حصر لها. إنّ المعرفة التي تنسجم من دولة الاستثناء هذه كحكم إمبراطوري هي المعرفة المقدّمة بطريق الارتشاح (التّناضح)، معرفة اللاّشيء، معرفة من دون فاعلية ذاتية في خدمة الإمبراطورية بلا هيمنة»[34]. (حميد دباشي، 2016). فالوضع الحالي للبشرية مختلف جدّا عن الأوضاع التي كانت فيما مضى، حيث إنّ الاستشراق أسهم باعتباره معرفةً حول الشرق في إحكام السيطرة عليه واستعماره وكان الاستعمار النّهاية الحتمية له، وهذه المعرفة من إنتاج الغرب نفسه ومرتبطة بمنظومته الفكرية بطريقة وثيقة لذلك يبدو متجانسا ومتّسقا، الأمر الذي كتب له أن يبقى مؤثّرا في فهم الغربيين للشرق غير أنّ الوضع اليوم قد تغيّر، لأنّه– وكما يرى دباشي– فإنّ ذلك النّمط من إنتاج المعرفة لم يعد موجودا اليوم، كما أنّه لم يعد صالحا أيضا لفهم كلّ ما يتعلّق بقضايا الإنسان الشرقي وعالمه، والمعرفة التي تُنتجها أوروبا عن العالم معرفةٌ جوفاء قائمة على "الارتشاح" أو "التّناضح" وتُستخدم لخدمة أغراض محدودة .

فهو يُعاين الوضع الحالي مُحيلا إلى إدوارد سعيد في كلّ مرة، ويرى أنّ «طريقة عمل إنتاج المعرفة التي نصنّفها باسم الاستشراق". والتي كانت موضع النّقد الرزين لإدوارد سعيد، قد تفكّكت الآن. ووصلت إلى مرحلة الانحلالية التي عرفتها، باسم التّناضح الداخلي"، أو المعرفة التي تُستخدم لمرة واحدة–المعرفة لم تهد تستند على أيّ نظام معرفي متين. ويستند هذا الاقتراحُ على تأريخ نشطٍ "للاستشراق" يتجاوز التّنظير الفوري لإدوارد سعيد، الذي كان–في المقام الأوّل–وجهةَ نظرٍ نقدية أدبية حول أزمة التّمثيل، كجزء، لا يتجزّأ، من العلاقة ما بين المعرفة والسلطة»[35]. (حميد دباشي 2016) فالاستشراق بالمفهوم الذي درسَه إدوارد سعيد لم يعد موجودا اليوم، وعليه لابدّ من إدراك أنّ المنظومة الغربية التي أنتجته لم تعد هي كذلك موجودة.

وبناء على كلّ ما ذُكر فإنّ المنظومة المعرفية الغربية اليوم؛ غير المتّسقة وغير المتجانسة والمرتبطة بمسائل معيّنة والمتعلّقة بأماكن وأزمان محدودة، والمُشاعة بين المجتمعات الغربية إعلاميّا عن طريق الارتشاح والتّناضح، صالحةٌ لوقت معيّن وغير صالحة لفترة طويلة خلافا للاستشراق الذي بقي صالحا لقرون كاملة كمعرفة متّسقة

وذات مشروعية في التّعامل مع قضايا الشرق، ولذلك فهو يمضي يفسّر معناه، حيث يذكر «ليس التّناضح المعرفي الذي اقترحته كمرحلة متأخّرة من إنتاج المعرفة حول الشرق الأوسط وقفا على الظرف الشّاذّ الذي تُنتِج فيه المؤسّسة العسكرية الأمريكية المعرفة (عبر سيّد والي رضا نصر وراي تقية)...بل يُمكنني القول إنّنا قد دخلنا طورا من إنتاج المعرفة لا يستند على منهج مخصوص من بناء الموضوع (دراسة"الشرق" Orient التي تولّدت عبر التّقاطع مع الغرب" كذات عارفة سيادية في التّاريخ)»[36]. (حميد دباشي، 2015). وهو يقصد هنا بالتّناضح المعرفي تلك المعرفة المُنتجة حول الشرق أو غيره، والمُشاعة بين الغربيّين ومن سماتها أنّها مرتبطةً بقضايا معيّنة تخصّ منطقة واحدة ومرتبطة بزمن غير طويل، وهي معرفة لا تصدر عن مستشرقين كالذين عُرفوا في العصر الذّهبي للاستشراق من أمثال "إيغناتس غولدزيهر" و"غوستاف فان غرونباوم" و"صمويل مارغوليوث"و"نيكلسون" و"هاملتون جبّ"، و"لويس ماسينيون" و"ريجيس بلاشير" و"ليون غوتيي" وغيرهم، الذين قدّموا دراسات جادّة وقيّمة حول التّراث الشرقي ومجتمعاته وبنياته التّنظيمية وشرائعه الدّينية، وبالرغم من كون هذه المعرفة تحوي أنساقا ثقافية باعتبارها إحدى نتاجات الفكر الغربي، إلّا أنّها كانت معرفة منظّمة وممنهجة وقائمة على دراية ومعرفة دقيقة في الكثير من البحوث التي قدّمتها.

أمّا المعرفة التي يُنتجُها الغرب اليوم والتي حدّدها دباشي، فهي تَنتُج عن أشخاص قد يكونون لاجئين أو مُهاجرين ممّن يعيشون في البلدان الغربية، ويذكر أمثلة عن هؤلاء "الخبراء" فيذكر "سيد والي رضا نصر" و"راي تقية"، ويذكر في مواضع أخرى من كتابه "فؤاد عجمي" و"آذر نفيسي" و"سنان أنطون" ♦، الذين يقدّمون للغرب خبرَتهم وتمثيلاتهم لبلدانهم، وتقاريرهم عن أوضاع إنسانية مزعومة، وهي معرفة ناقصة وغير ممنهجة كما يذكر ذلك، غير أنّها تُسهم في تقديم صورة عن بلدانهم وتُحدّد للغرب ما يُمكنه فعلُه اقتصاديا وسياسيا وثقافيا، وتستعمل الإدارةُ الأمريكية هذه المعلومات التي يُمدّها بها هؤلاء وأمثالهم، لإصدار خطاب سياسيّ وإعلامي مُشبع بالمغالطات يُبرّر مشروعية التّدخّل في بلد ما وممارسة كلّ أشكال الهيمنة عليه، من مثل التّدخّلات العسكرية أو فرض عقوبات وحصار وعزل ومضايقات اقتصادية وسياسية، كما تتّخذ أيضا شكل التّدخّل من أجل حماية أقلّية ما، تدّعي الولايات المتّحدة أنّها مُضطهَدة

وهي الحجّة التي يتّخذها الغرب للتّدخل في شؤون البلدان العربية والآسيوية، وهذا التّحوّل يدلّ على أنّ إنتاج المعرفة حول الشرق قد تغيّر عمّا كان عليه في الفترة التي درسها إدوارد سعيد.

7. خاتمة: إنّ الدّراسات ما بعد الكولونيالية في تحوّلاتها المرتبطة بتغيّرات الواقع الاجتماعي والسياسي في الغرب، تجتهد لمتابعة أهمّ الانعكاسات التي تُحدثها في الثّقافة، باعتبارها من أهمّ المجالات التي تُحكم علاقات الشّعوب بعضها ببعض وبالنّظر إلى أنّ التّجاذبات بين الثّقافات تؤثّر في تكوين رصيدٍ من التّمثيلات من شأنها أن تُحدث التّعايش أو العكس، فإنّ الواقعَ المعرفي اليوم قد تغيّر بما ساعد في تلاشي المفاهيم التي استقرّت وقتا طويلا في علاقات الشعوب بعضها ببعض، ولعلّ أهمّها الاستشراق، باعتباره بنية مؤسّساتية غربية تملك محمولات إيديولوجية وحضارية تمّ بها سياسة الشعوب الشرقية وتحديد هويّاتها، وحميد دباشي من بين أهمّ المتابعين لهذه التّحوّلات المعاصرة في مجال النّظرية الأدبية التي غدت متجاوزةً لاختصاصها أكثر من أيّ وقت مضى، ومن خلال الأفكار التي رسّخها في هذا المجال تبرز مفاهيمه حول تلاشي المنظومة المعرفية الغربية، التي لم تعد تُنتج معرفة متماسكة ودقيقة حول الشرق، ومن شأن هذه الأفكار أن تسمح لنا بإدراك الواقع الثّقافي والمعرفي ومحاولة فهم تحوّلاته المعاصرة.

8. مصادر الدّراسة ومراجعها المعرفية والمنهجية:

1- إدوارد. وسعيد، الاستشراق؛ المعرفة السّلطة الإنشاء، تعريب كمال أبو ديب مؤسّسة الأبحاث العربية بيروت، الطبعة الأولى، 1981.

2- حميد دباشي، هل يستطيع غير الأوروبي التّفكير؟ ترجمة عماد الأحمد، دار المتوسّط. إيطاليا الطبعة الأولى. 2016.

3- حميد دباشي، ما بعد الاستشراق؛ المعرفة والسّلطة في زمن الإرهاب، ترجمة باسل عبد الله وطفه منشورات المتوسّط. إيطاليا، الطبعة الأولى، 2015.

4- إدوارد سعيد، الاستشراق؛ المفاهيم الغربية للشّرق، ترجمة محمد عنّاني، دار رؤية للنّشر والتّوزيع الطبعة الأولى، 2006.

5- إدوارد سعيد، الثّقافة والإمبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب بيروت الطبعة الثّالثة 2004.

6- إدوارد سعيد، الآلهة التي تفشل دائما، ترجمة حسام الدّين خضور، التّكوين للطباعة والنّشر دمشق 2003.

7- إدوارد سعيد، فرويد وغير الأوروبيين، دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى 2004.

8- إدوارد سعيد، خارج المكان؛ مذكرات، ترجمة فواز طرابلسي، الطبعة الأولى دار الآداب، القاهرة 2000.

9- آنيا لومبا، الكولونيالية ومابعدها، ترجمة باسل المسالمة، دار التّكوين. سوريا الطبعة الأولى 2013.

10- آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ترجمة محمد عبد الغني غنّوم، دار الحوار سوريا، الطبعة الأولى، 2007.

11- بيل أشكروفت، بول أهلواليا، إدوارد سعيد؛ مفارقة الهوية، ترجمة سهيل نجم دار نينوى للدّراسات دمشق الطبعة الأولى، 2002.

12- بيل أشكروفت، جاريث جريفيث، هيلين تيفين، الإمبراطورية تردّ بالكتابة؛ آداب مابعد الاستعمار؛ النّظرية والتّطبيق، ترجمة خيري دومة، أزمنة للنّشر والتّوزيع، الأردن الطبعة الأولى، 2005.

13- جورج لارين، الإيدولوجيا والهوية الثّقافية؛ الحداثة وحضور العالم الثّالث ترجمة فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي. القاهرة، الطبعة الأولى، 2002.

14- جيل دولوز، فلسفة كانط النّقدية، تعريب أسامة الحاج، المؤسّسة الجامعية للنّشر والتّوزيع. بيروت. الطبعة الأولى 1997.

15- دوغلاس روبنسون، التّرجمة والإمبراطورية؛ نظريات التّرجمة ما بعد الكولونيالية، ترجمة ثائر علي ديب الطبعة الثّانية، دار الفرقد، دمشق، 2009.

16- سوزان باسنيت، الأدب المقارن؛ مقدّمة نقدية، ترجمة أميرة حسن نويرة المشروع القومي للتّرجمة المجلس الأعلى للثّقافة مصر، 1999.

17-طوني موريسون، صورة الآخر في الخيال الأدبي، ترجمة محمد مشبال منشورات مشروع البحث النّقدي ونظرية التّرجمة، مطبعة آنفو برانت. فاس. الطبعة الأولى، 2009.

18- عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية، الدّار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى 2010.

19- عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الثّاني، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر. بيروت الطبعة الأولى. 1984.

20-محمود زيدان، كنط وفلسفته، دار المعارف. مصر، الطبعة الثّالثة. 1979.

21-موسوعة كمبريدرج في النّقد الأدبي القرن؛ العشرون المداخل التّاريخية والفلسفية والنفسية، العدد 919 تحرير: ك. نلوولف، ك. نوريس، ج. أوزبورن، مراجعة وإشراف رضوى عاشور، المشرف العام جابر عصفور المشروع القومي للترجمة، شارك في الترجمة إسماعيل عبد الغني/ منى عبد الوهاب هاني حلمي/ دعاء إمبابي/ محمد هشام المجلس الأعلى للثّقافة، الطبعة الأولى، 2005.

22- هومي.ك. با با، موقع الثقافة، ترجمة ثائر ديب، المركز الثّقافي العربي بيروت الطبعة الأولى 2006.

23- ألف؛ مجلّة البلاغَة المقارنة، إدوارد سعيد والتّقويض النّقدي للاستعمار؛ عدد خاص عن إدوارد سعيد، العدد الخامس والعشرون، دار إلياس العصرية، القاهرة مصر 2005.

24- Hamid Dabashi, post-orientalism, knowledge and power in time of terror , Transaction Publishers, New Brunswick, New Jersey , 2009.

25- Hamid dabashi, The Green Movement and The U S A The Fox and The Paradox, Zed Bookd ? New York and London 2010.

26- Petit Larousse illustré 1982, librairie Petit Larousse, Paris

1980.

27- The British Medical Association,Illustrated Medical ictionary,A dorling kindersley Book.

9‡. هوامش:

[1]- اضطُررنا هنا لتعريب المصطلح EndOsmosis، ويقصد دباشي بمفهومه هذا فكّ الارتباط بين المعرفة الغربية التي أنتجت مفاهيمها وتصوّراتها حول نفسها وحول الآخر، أي تلاشي التّأثيرات التي كانت بين المنظومتين المعرفيّتين؛ الغربية والشرقية بهدف إنتاج مقولاتهما بعيدا عن هيمنة الأنا العارفة المدركة والعاقلة، أمّا التّناضح المعرفي لدى دباشي فيقصد بها طريقة إنتاج المعرفة الغربية حول العالم في طبيعتها وفي علاقاتها وتأثيراتها الدّاخلية؛ أي داخل المجتمعات الغربية نفسها.

[2] -يُنظر؛ غلاف كتاب، حميد دباشي، هل يستطيع غير الأوروبي التّفكير؟ ترجمة عماد الأحمد، دار المتوسّط. إيطاليا الطبعة الأولى، 2016.

[3] -يُنظر؛ غلاف كتاب، حميد دباشي، هل يستطيع غير الأوروبي التّفكير؟ ترجمة عماد الأحمد، دار المتوسّط. إيطاليا الطبعة الأولى، 2016.

[4] -حميد دباشي، مابعد الاستشراق؛ المعرفة والسّلطة في زمن الإرهاب، ترجمة باسل عبد الله وطفه، منشورات المتوسّط. إيطاليا، الطبعة الأولى، 2015، مقدّمة المترجم، ص: 8.

[5] -آنيا لومبا، الكولونيالية ومابعدها، ترجمة باسل المسالمة، دار التّكوين. سوريا، الطبعة الأولى، 2013، مقدّمة المترجم ص: 7.

[6] -آنيا لومبا، الكولونيالية ومابعدها، ص: 31.

[7] -يأتي كانط بمفهوم المعرفة القبْلية المقرونة دائما بمفهوم الذّات العارفة في كتابه" نقد العقل الخالص"، وفي سياق عدم ثقته في المعرفة عن طريق التّجربة، حيث «**أصدر كنت كتابه الرئيس"نقد العقل المحض" سنة 1781. ومعنى نقد العقل هو الفحص عن قدرة العقل بوجه**

عام فيما يتعلّق بكلّ المعارف التي يطمح إلى تحصيلها مستقلا عن التّجربة. والعقل المحض هو العقل الذي يعتمد على ذاته فقط دون الاستعانة بالتّجربة والملاحظة. فنقد العقل المحض هو الفحص عن نظام الأسس القبلية ومقتضيات العلم السابقة، التي بفضلها تتمّ المعرفة العلمية، وذلك ببيان استعمال هذه الأسس القبلية والمقتضيات السابقة في التّجربة وتحديد قيمتها في ضمان صحّة التّجربة» يُنظر؛ عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة الجزء الثّاني المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر. بيروت، الطبعة الأولى. 1984 ص:273/272.

[8] –محمود زيدان، كنط وفلسفته، دار المعارف. مصر الطبعة الثّالثة 1979، ص: 53.

[9] –جيل دولوز، فلسفة كانط النّقدية، تعريب أسامة الحاج، المؤسّسة الجامعية للنّشر والتّوزيع بيروت. الطبعة الأولى 1997 مدخل، ص: 6.

[10] –محمود زيدان، كنط وفلسفته، دار المعارف. مصر الطبعة الثّالثة. 1979، ص: 51.

[11] –يرى كانط أنّ الموضوعية في كلّ مسالك المعرفة مرتبطة بالعقل؛ منطلقة منه وعائدة إليه، ولذلك فالمعرفة بالذّات وبغيرها من الذّوات غير مرتبطة بالتّجربة والخبرات الحياتية، حيث إنّ «**المعرفة الموضوعية مصدرُها العقل، لا انطباعات الحسّ، وذلك تصحيح كنطي لمصدر الموضوعية والذّاتية**» يُنظر؛ محمود زيدان، كنط وفلسفته، دار المعارف، مصر الطبعة الثّالثة 1979، مقدّمة، ص: 9.

[12] –يُنظر؛ حميد دباشي، هل يستطيع غير الأوروبي التّفكير؟، ص: 15/14.

[13] –يرى إدوارد سعيد أنّ «**الاستشراق يعبّر عن هذا الجانب ويمثّله ثقافيا، بل فكريا باعتبار الاستشراق أسلوبا للخطاب أي للتّفكير والكلام، تُدعّمه مؤسّساتٌ ومفرداتٌ وبحوثٌ علمية وصورٌ ومذاهب فكرية بل وبيروقراطية استعمارية وأساليبُ استعمارية**» يُنظر؛ إدوارد سعيد الاستشراق؛ المفاهيم الغربية للشّرق، ترجمة محمد عنّاني، دار رؤية للنّشر والتّوزيع، الطبعة الأولى، 2006، مقدّمة المؤلّف، ص: 44.

[14] –إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة محمد عناني، مقدّمة المؤلّف، ص: 48 /49.

[15] –المرجع نفسه، المقدّمة، ص: 49 / 50.

[16] –المرجع نفسه، المقدّمة، ص: 50 / 51.

[17] –حميد دباشي، هل يستطيع غير الأوروبي التّفكير؟ المقدّمة، ص: 26.

[18] –إدوارد.و. سعيد، الاستشراق المعرفة السلطة الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب بيروت، الطبعة الثّالثة 2004 مقدّمة المترجم، ص: 4.

[19] –حميد دباشي، ما بعد الاستشراق؛ المعرفة والسّلطة في زمن الإرهاب، مقدّمة المؤلّف ص: 22/21.

[20] –يُضيف دباشي حول هذه النّقطة « **كان نقدُ الاستشراق نقدا لطريقة إنتاج المعرفة، ولم يكن–بكلّ تأكيد– انتقادا لأيّ جنسٍ، أو شعبٍ، أو ثقافةٍ**» يُنظر؛ حميد دباشي، هل يستطيع غير الأوروبي التّفكير؟ ترجمة عماد الأحمد، المقدّمة، ص: 27.

[21] –حميد دباشي، ما بعد الاستشراق؛ المعرفة والسّلطة في زمن الإرهاب، مقدّمة المؤلّف ص: 16/ 17.

[22] –حميد دباشي، ما بعد الاستشراق؛ المعرفة والسّلطة في زمن الإرهاب، مقدّمة المترجم ص: 11.

[23] –حميد دباشي، ما بعد الاستشراق؛ المعرفة والسّلطة في زمن الإرهاب، مقدّمة المؤلّف ص: 16/15.

[24] –حميد دباشي، ما بعد الاستشراق؛ المعرفة والسّلطة في زمن الإرهاب، مقدّمة المترجم ص: 8.

[25] –المرجع نفسه، ص: 8.

[26] –المرجع نفسه، ص: 9.

[27] –يُنظر؛ Petit Larousse illustré 1982, librairie Petit Larousse, Paris 1980, p 710.

[28] The British Medical Association,Illustrated Medical Dictionary,A dorling kindersley Book, p 420.

[29] يُنظر؛ Hamid Dabashi, post–orientalism, knowledge and power in time of terror Transaction Publishers, New Brunswick, New Jersey , 2009, p 213.

[30] –حميد دباشي، ما بعد الاستشراق؛ المعرفة والسّلطة في زمن الإرهاب، مقدّمة المؤلّف ص: 22.

[31] Hamid Dabashi, post–orientalism, knowledge and power in time of terror.

[32] –حميد دباشي، ما بعد الاستشراق؛ المعرفة والسّلطة في زمن الإرهاب، ص: 269.

[33] –المرجع نفسه، ص: 269.

[34] –حميد دباشي، هل يستطيع غير الأوروبي التّفكير؟، ص: 271/270.

[35] –حميد دباشي، هل يستطيع غير الأوروبي التّفكير؟، المقدّمة، ص: 29.

[36] –حميد دباشي، ما بعد الاستشراق؛ المعرفة والسّلطة في زمن الإرهاب، ص 283/282.

♦ –يذكر دباشي أنّ «فؤاد عجمي العربي المهاجر الذي أصبح مرجعا عتيقا في الولايات المتّحدة يُستعان به لحلّ ألغاز العالمين العربي والإسلامي حين تهمّ الإدارة الأمريكية بالقيام بعمل عسكري في تلك المناطق. وتقف في الخانة نفسها إلى جانب فؤاد عجمي الإيرانية آذر نفيسي التي تقوم بالدّور عينه» يُنظر؛ حميد دباشي، ما بعد الاستشراق؛ المعرفة والسّلطة في زمن الإرهاب، مقدّمة المترجم، ص: 10/9.